

يان بوس | Jan Busse \*

رينيه وايلدانجل | René Wildangel \*\*

## اللعبة المتمردة تاريخ سياسي لكرة القدم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بين العالمي والمحلي

### The Rebellious Game

### A Political History of Football in the Middle East and North Africa between the Global and the Local

عزّز المستعمرون البريطانيون، في أكثر الأحيان، المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية لوطنهم الأم، وفعلوا ما اعتادوا فعله؛ ممارسة كرة القدم التي كانت – إذا استثنينا أهميتها في قضاء أوقات الفراغ – أداة استعمارية في "تثقيف" الشعوب المستعمرة و"ضبطها". وقد لجأت الأندية الأولى في شمال أفريقيا والشرق إلى الحد من عضوية غير الغربيين، وغير البيض. لكن كرة القدم لدى الحركات الاستقلالية سرعان ما باتت أيضًا مرسلاً عابراً للحدود الوطنية، لتغدو الملاعب الرياضية فضاءات اجتماعية مهمة على المستويين المحلي والوطني. وحافظت كل أنحاء المنطقة على سلطة كرة القدم التحريزية، من العصر الاستعماري إلى الانتفاضات العربية. لكن الثروة الهائلة لدول الخليج، وقرارها الاستثمار في القوة الناعمة لكرة القدم، أسهما في تغيير المعادلة. من هذا المنطلق، ستحاول هذه الدراسة أن تصف، من خلال منظور طويل الأمد، الاتجاهات التحريزية والاتجاهات المضادة للتحزب في تاريخ كرة القدم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

**كلمات مفتاحية:** الرياضة والاستعمار، الرياضة والتعبئة الوطنية، الرياضة والتحرر، العالم العربي.

It was mostly British colonisers who came to consolidate the political, economic and military interests of the motherland and did what they used to do: play football. Apart from spending their time, football worked as a colonial instrument both "civilising" and "disciplining" the colonised populations. The first clubs in North Africa and the Levant restricted membership for non-Westerners and non-whites, but soon football also became a transnational transmitter of independence movements, the stadiums becoming important social spaces on the local and national levels. Such was the emancipatory force of football that it has been preserved across the region ever since the colonial era, prominent again in the Arab Uprisings. However, the massive wealth of the Gulf States and their decision to invest in football's soft power has changed the equation. The article thus describes emancipatory and counter-emancipatory trends in MENA football history from a longue durée perspective.

**Keywords:** Sport and Colonialism, Sport and National Mobilisation, Sport and Liberation, The Arab World.

\* زميل باحث أول ومحاضر في السياسة العالمية ودراسات الصراع، معهد العلوم السياسية، جامعة بوندسوير، ميونخ، ألمانيا.

Senior Research Fellow and Lecturer in Global Politics and Conflict Studies, Institute of Political Science, Bundeswehr University, Munich, Germany.  
Email: jan.busse@unibw.de

\* محاضر مساعد، برنامج البحر الأسود وشرق المتوسط (BSEM)، الجامعة اليونانية الدولية، سالونيك، اليونان.

Adjunct Lecturer, Black Sea and Eastern Mediterranean Program (BSEM), International Hellenic University, Thessaloniki, Greece.  
Email: work@renewildangel.de

## مقدمة

محلي؛ ما يتيح لنا الحديث، أيضًا، عن "النزعة المحلية" Localization<sup>(3)</sup>. ولذلك، نتفق مع ديفيد غولدبلات حين يقول: "لا ينبغي تفسير احتضان كرة القدم الأوروبية بأنه شكل بسيط من أشكال الاستعمار الجديد. لقد أثبتت شعوب هذه المنطقة، منذ وقت طويل، أنها لا تقلد 'السادة' الإمبرياليين العابرين، بل إن لها مقاومة ومرونة كافيتين لاستيعاب [الأشكال الاستعمارية] وترويضها. وهكذا، لمسنا سرعة بلدان شمال أفريقيا والمشرق، بوجه خاص، في تبني كرة القدم - وهي لعبة المستعمر الأوروبي - ثم نشرها بوصفها تحدّيًا رمزيًا للحكم الإمبريالي، وأداةً عملية للتنظيم والتثقيف السياسي الذاتي"<sup>(4)</sup>.

وينبغي لنا في الوقت نفسه التشديد على أن النتائج التي وصلنا إليها لا تُعدّ سمات تتفرّد بها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. فعوضًا عن ذلك، وانسجماً مع تركيزنا على الترابط بين المستويين العالمي والمحلي، نؤكد أن التباين بين قوة كرة القدم التعبوية وقيودها وضوابطها الصارمة من بين سمات تاريخ كرة القدم في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، شأنها في ذلك شأن المناطق الأخرى<sup>(5)</sup>.

ومن أجل الكشف عن خط النقاش الخاص بنا، سيتناول القسم الثاني من هذه الدراسة التشابكات الاستعمارية التاريخية التي شهدتها كرة القدم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. أما القسم الثالث، فسيعالج كرة القدم بوصفها ظاهرة جماهيرية وساحة للتعبئة الوطنية، في حين يسلط القسم الرابع الضوء على دور الدعاية والعنف في سياق كرة القدم. وبعد ذلك، نقدّم نظرة معمّقة للإمكانات التحرّرية التي توفرها كرة القدم. أمّا الخاتمة، فهي تلخّص الأفكار الرئيسية التي عُرضت في هذه الدراسة.

## القوى الاستعمارية تجلب كرة القدم إلى الشرق الأوسط

منذ نهاية القرن التاسع عشر، بدأت القوى الاستعمارية الأوروبية تنشر كرة القدم في القارات كلّها، لتكون جزءًا من طموحاتها

تمثّل استضافة دولة قطر بطولة كأس العالم لكرة القدم عام 2022 مناسبة وفرصة متجددة للتأمل في دور هذه الرياضة في المنطقة، وهو دورٌ غامض يراوح بين كونه تمثّلًا لمفهوم "مُغرب" لـ "الحداثة"، وميدانٌ لعبٍ بالنسبة إلى الهوية الوطنية والتمكين الذاتي.

وترتبط جذور عولمة كرة القدم الحديثة ارتباطًا وثيقًا بعصر الاستعمار في نهاية القرن التاسع عشر. وتكمن السمة الثابتة لتسييس كرة القدم، على نحو ما سترى، في الديناميكيات المتزامنة للتمكين والاضطهاد، التي يمكن ملاحظتها في الأوضاع التاريخية والمعاصرة. ومن ثم، سيتجه السؤال البحثي الرئيس لهذه الدراسة إلى كيفية ظهور السمات القمعية والتحرّرية لكرة القدم، في شتى السياقات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وسيُسيّر تحليلنا، في هذا الشأن، مع التيار الذي يدعو إلى التوسع في دراسة الرياضة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وكرة القدم على نحو خاص، لأنها تضيف الكثير إلى فهمنا المتعلق بتاريخ المنطقة، سواء كان ذلك من النواحي الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية<sup>(1)</sup>.

ومع أن ظهور كرة القدم في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا جاء نتيجة التوسّع العالمي للإمبراطورية البريطانية، فإننا نحاجّ - في هذا السياق - بأن عولمة القومية الحديثة مرتبطة بكرة القدم بالقدر نفسه، بعد أن أصبحت هذه اللعبة وسيلة مهمة للتعبير عن التطلّعات القومية في مواجهة قوى الاستعمار. وهكذا، لا ينبغي أن نتعامل مع الانتشار العالمي لكرة القدم، في أي حال من الأحوال، بوصفه انتشارًا أحادي الجانب أدّى إلى التجانس، ولا ينبغي أيضًا أن ندرس التفاعل القائم بين كرة القدم والسياسة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، من دون ربطه بالسياق العالمي الأوسع.

يقدم مثال كرة القدم حجة دامغة على الوجود المتزامن للديناميكيات العالمية Global والمحلية، وهي الحالة التي أطلق عليها رولاند روبرتسون وريتشارد جيوليانوني - في حقل الرياضة - مصطلح "العالم - محلية" Glocalization. ناقليّن المفهوم الذي أطلقه روبرتسون نفسه في العلوم الاجتماعية مطلع التسعينيات من القرن العشرين إلى حقل دراسات الرياضة<sup>(2)</sup>. من هنا، نقترح وصف انتشار كرة القدم، سواء كان ذلك في المستوى العالمي أو في الشرق الأوسط، بأنه ترجمةٌ معيارٍ عالمي إلى سياق

3 Amitav Acharya, "How Ideas Spread: Whose Norms Matter? Norm Localization and Institutional Change in Asian Regionalism," *International Organization*, vol. 58, no. 2 (2004), pp. 239-275.

4 David Goldblatt, *The Age of Football: The Global Game in the Twenty-First Century* (London: Macmillan, 2019), S? 118.

5 لتكوين نظرة عامة عن الموضوع، يُنظر:

James M. Dorsey, *The Turbulent World of Middle East Soccer* (London: Hurst Company, 2016); Alon Raab Issam Khalidi (eds.), *Soccer in the Middle East* (London: Routledge, 2015); Danyel Reiche Tamir Sorek (eds.), *Sport, Politics and Society in the Middle East* (London: Hurst Company, 2019).

1 Shaun T. Lopez, "On Race, Sports, and Identity: Picking up the Ball in Middle East Studies," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 41, no. 3 (2009), pp. 359-361.

2 Richard Giulianotti Roland Robertson, "The Globalization of Football: A Study in the Glocalization of the 'Serious Life,'" *The British Journal of Sociology*, vol. 55, no. 4 (2004), pp. 545-568.

لقد مرّت كرة القدم بتحوّل فعلي عميق في وطنها الأم، بريطانيا، حين سيطرت الإمبراطورية البريطانية على مصر في نهاية القرن التاسع عشر، ثم على فلسطين والأردن والعراق بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، بوصفها سلطة انتداب. في المقام الأول، شهد عام 1863 في إنكلترا انفصلاً بين لعبتي الركبي Rugby وكرة القدم، ولكن اللعبة الأولى حافظت على روح إقصائية ونخبوية أكثر من الثانية. لقد أصبح الشرق الأوسط خاضعاً للاستعمار البريطاني بعد هذا الانفصال مباشرة، بخلاف جنوب أفريقيا أو أستراليا مثلاً، حيث أدّت لعبة الركبي دوراً أكبر كثيراً من دور كرة القدم، ولكن لم يكن لها حضور في الشرق الأوسط. وإذا نظرنا إلى السياق نفسه من زاوية أخرى، فإننا نجد أنّ كرة القدم بدأت تصبح نشاطاً نموذجياً للطبقة العاملة في المملكة المتحدة أولاً، ثم أخذت طريقها إلى العمال في المستعمرات البريطانية، وهي واقعة لم تتحقّق إلا بعد التوسّع المتوالي في مجال حقوق العمال، فتقليل أيام العمل دفع العمال غالباً إلى قضاء أوقات فراغهم في ممارسة كرة القدم أو مشاهدة مبارياتها. ثم إن بساطة قواعد هذه اللعبة، والمرونة المتعلّقة بساحات اللعب، وانعدام الحاجة إلى شراء معدّات باهظة الثمن، أسهمت كلّها في زيادة شعبيتها بسرعة<sup>(11)</sup>.

لم يستعمل الاستعمار، في محاولته تصدير القيم الغربية، القوة والإكراه فحسب، بل استعمل أيضاً "القوة الناعمة"، ليضفي بُعداً ثقافياً في مشروعه لحكم البلدان المستعمرة. ومع ذلك، ينبغي القول إنه كان ثمة دائماً بعض الغموض في المقاربة الاستعمارية للثقافة والرياضة؛ ذلك أنّ المستعمرين استعملوها لإثبات "تهذيبهم"، وينبغي القول أيضاً إنّ ثمة روحاً تربية تكمن خلف مهمتهم. وفي الوقت نفسه، استُعملت هذه المجالات بفعالية؛ لتشتيت الكيانات المستعمرة، وتهدئتها، والتحكّم فيها. ففي أحيان كثيرة، كما هي الحال في أفريقيا مثلاً، استعملت الإدارات الاستعمارية الرياضة، بتعبير أحد المسؤولين في هذا الإدارات، من أجل "منح السكان الأصليين مكاناً جدياً لقضاء أوقات فراغهم بطريقة بناءة"<sup>(12)</sup>، وأنشئت كذلك إدارات رياضية محلية من أجل التحكّم في تطوير الهياكل المستقلّة والحدّ منها.

ومع أن الأصل في كرة القدم أنها هوية النخب الأجنبية في المقام الأول، فإنّ البريطانيين، تجاراً ومعلمين وجنوداً وبحارة، كانوا قد

الإمبريالية<sup>(6)</sup>. وقد ارتبط ظهور هذه الرياضة الحديثة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ارتباطاً وثيقاً بهذه القوى، ولا سيما بريطانيا التي نصّبت نفسها، في الوقت نفسه، "موطناً لكرة القدم" ومصدراً لعمليات التطوّر السريع للعبة. كانت الأهمية الاقتصادية المتنامية للمنطقة، بمواردها الهائلة من الطاقة، الضرورية لتوسيع الاقتصاد العالمي، عاملاً مهماً في هذا الشأن. ومع أن الدافع الرئيس للسيطرة الاستعمارية المستمرة هو استغلال هذه الموارد، فإنه يمكن القول إن الموارد نفسها شكّلت حجر الزاوية في النشوء المستقبلي للدول المستقلّة في الخليج التي شهدت ظهور شعور جديد بالتمكين الذاتي والثقة بالنفس. ونتج من ذلك تزامناً وصول كرة القدم إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مع بروز اتجاهات واسعة تؤمن بمفهوم معيّن للحدّثة العربية أو الإسلامية<sup>(7)</sup>، وهو أمر أسهم فيما سمّاه المؤرخ التركي مراد يلدر "النهضة الرياضية" Sport Nahda<sup>(8)</sup>، مستعملاً تعبير "النهضة" العربي بالحرف اللاتيني، في إشارة إلى المفهوم والتمثل الخاصّين اللذين ظهرا في البلدان العربية والإسلامية للنهضة الأوروبية.

في نهاية القرن التاسع عشر، لم تكن كرة القدم "لعبة شعبية" يمارسها الجميع (فمثلاً، ليس ثمة آنذاك حديث عن النساء بوصفهن متفرجات أو لاعبات)، أو لعبة الطبقة العاملة كما أصبحت لاحقاً<sup>(9)</sup>. وفي بداية الأمر، كانت النخبة الحضرية هي التي جلبت كرة القدم إلى عواصم الجنوب العالمي، ومن ثم إلى الشرق الأوسط أيضاً، سواء كنّا نتحدّث عن إسطنبول أو القاهرة أو طهران. ولم تكن الغايات الاستعمارية تقتصر على ممارسة السيطرة الاقتصادية والسياسية على الأراضي المستعمرة وأسواقها، بل كانت تهدف أيضاً إلى تصدير "التقدّم" والثقافة الأوروبية، التي تدّعي أنها متفوّقة، إلى المنطقة<sup>(10)</sup>.

6 Matthew Taylor, "The Global Spread of Football," in: Robert Edelman Wayne Wilson (eds.), *The Oxford Handbook of Sports History* (Oxford: Oxford University Press, 2017); Lauren Dubois, "Diffusion and Empire," in: Robert Edelman Wayne Wilson (eds.), *The Oxford Handbook of Sports History* (Oxford: Oxford University Press, 2017), pp. 183-196.

7 ينظر: Wilson Chacko Jacob, *Working Out Egypt: Effendi Masculinity and Subject Formation in Colonial Modernity, 1870-1940* (Durham, NC: Duke University Press, 2011).

8 Murat C. Yildiz, "Mapping the 'Sports Nahda': Toward A History of Sports in the Modern Middle East," in: Danyel Reiche Tamir Sorek (eds.), *Sport, Politics and Society in the Middle East* (Oxford University Press, 2019): 11-39.

9 ينظر: Gabriel Kuhn, *Soccer vs. the State: Tackling Football and Radical Politics* (Oakland, CA: PM Press, 2011).

10 Brian Stoddart, "Sport, Cultural Imperialism, and Colonial Response in the British Empire," *Comparative Studies in Society and History*, Cambridge University Press, vol. 30, no. 4 (1988), pp. 649-673.

11 Christian Koller Fabian Brandle, *Goal!: A Cultural and Social History of Modern Football* (Washington, D.C: The Catholic University of America Press, 2015), pp. 38-41.

12 Phyllis M. Martin, "Colonialism, Youth and Football in French Equatorial Africa," *The International Journal of the History of Sport*, vol. 8, no. 1 (1991), pp. 56-57, 71.

سيطرةً كاملة تقريباً. ولتحقيق السيطرة، استندوا أساساً إلى قوّاتهم الجوية التي أنشأت مقرّها في قاعدة الهندي جنوب بغداد (ستعرف، لاحقاً، باسم "معسكر الرشيد"). ولما كانت كرة القدم هواية مهمة بالنسبة إلى الجنود في القاعدة، فإنه لن يكون مفاجئاً أن نادي القوة الجوية هو نادي كرة القدم الأول الذي أنشأه أعضاء في القوة الجوية العراقية عام 1931، بعد بضعة أسابيع من إنشائها هي نفسها<sup>(16)</sup>. وفي موازاة ذلك، أسهمت شركات النفط البريطانية في انتشار كرة القدم وترسيخها في العراق، كما هي الحال في شبه الجزيرة العربية.

ربما لا يمكن أن تُلخّص العلاقة الوثيقة بين كرة القدم العراقية والإمبراطورية البريطانية على نحو أفضل من تليخيص بيرسي لينسدال بحسب حسنين مبارك في تاريخه لكرة القدم العراقية. وُلد لينسدال في بغداد عام 1927 لأمّ عراقية وضابط بريطاني، ولعب في فريق كرة القدم الأول التابع لكلية بغداد اليسوعية، ثم عمل في شركة نفط البصرة، وكان أحد اللاعبين في فريق كرة القدم في هذه الشركة. وبعد تشكيل الاتحاد العراقي لكرة القدم، اختير لتمثيل المنتخب العراقي الأول عام 1951. ثم انتقل إلى إنكلترا في وقت مبكر من عام 1952، لكنّه لم يمارس فيها سوى كرة القدم الترفيهية<sup>(17)</sup>.

وفي غضون ذلك، انتشرت كرة القدم في فلسطين في بدايات القرن العشرين من خلال المدارس المسيحية في مدينة القدس التي أسست حينئذ فرقها الخاصة، فأسهمت في انتشار كرة القدم. ففي عام 1908، شكّلت كلية روضة المعارف الوطنية فريقاً لكرة القدم، وشهد العام نفسه تأسيس مدرسة سان جورج فريقاً لكرة القدم، وهو الفريق الذي فاز، عام 1909، على نخبة من الجامعة الأميركية في بيروت كانت تُعدّ في ذلك الحين من أفضل جامعات المنطقة<sup>(18)</sup>. وانتشرت كرة القدم في فلسطين، أيضاً، من خلال الأندية التي أسستها الحركة الصهيونية الأوروبية، بوصفها جزءاً من المشروع الصهيوني في فلسطين، وكانت تتبع تيارات سياسية صهيونية محدّدة<sup>(19)</sup>. وحين احتلت بريطانيا فلسطين، في أثناء الحرب العالمية الأولى، ومنحت عصبة الأمم بريطانيا شرعية للسيطرة على بعض بلدان المنطقة بوصفها سلطة انتداب، حاولت

قدّموا كرة القدم إلى النخب المحلية في عواصم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ إذ اكتسبت اللعبة في بريطانيا، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قواعد ثابتة، وشهدت اهتماماً جماهيرياً متعاظماً. وبخلاف المستعمرين الفرنسيين في شمال أفريقيا، الذين جعلوا اللعبة حكرًا على الأوروبيين خلال مدة طويلة، سمح البريطانيون للطبقة المصرية الراقية بالمشاركة في الأندية التي أنشؤوها وخوض مباريات كرة القدم الأولى، فضلاً عن أنهم أدخلوا التربية البدنية درساً إلزامياً في المناهج الدراسية<sup>(13)</sup>. وقد كان الهدف الرئيس من ذلك هو تعليم السكان المحليين "القيم الأوروبية" المفترضة للانضباط (التي تتماشى، إلى حد بعيد، مع الروح العامة للمؤسسات التعليمية الفيكتورية)، واحترام السلطة الحاكمة؛ وهي السلطة الاستعمارية، بطبيعة الحال. وهكذا، تمكّن السكان المحليون تدريجياً من ممارسة كرة القدم، في تلك الأجزاء الواقعة تحت السيطرة البريطانية من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وكما هي الحال في أجزاء أخرى من الإمبراطورية البريطانية، كانت كرة القدم - إلى جانب القيم الاستعمارية المميّزة التي نُقلت إلى المنطقة - أداة مهمة في السيطرة الاستعمارية من خلال التّظّم التعليمية في المقام الأول<sup>(14)</sup>. لكن العكس هو الذي حدث في مستعمرات المستوطنين الفرنسيين والإيطاليين في المغرب العربي؛ إذ مثّلت كرة القدم وسيلة للتمييز بين المستعمرين الأوروبيين والسكان المحليين، وتعبيراً عن التفوّق الأوروبي في الوقت نفسه.

عمل البريطانيون على إيصال كرة القدم إلى العراق، من خلال الإمبراطورية التجارية البريطانية، كما حدث في كثير من الأماكن الأخرى في العالم؛ فقد خاض بحارة السفن التجارية مباريات ضد فرق محلية في مدينة البصرة<sup>(15)</sup>، ومن خلال سلاح الجو الملكي الذي أدّى دوراً فاعلاً في انتشار هذه اللعبة في العراق. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، احتل البريطانيون أجزاءً واسعة من العراق، على النحو الذي هو عليه هذا البلد في الوقت الراهن. وحصلوا على تفويض من عصبة الأمم ليشكّلوا "سلطة انتداب"؛ بمعنى أن يكونوا كياناً إدارياً يُسمح له بالسيطرة السياسية والاقتصادية على العراق

16 Hassanin Mubarak, *Birth of the Lions of Mesopotamia. The early years of football in Iraq* (UK: Hassanin Mubarak, 2020), pp. 16-17, 42-49.

17 Ibid., pp. 246-248.

18 Issam Khalidi, "Sports and Aspirations: Football in Palestine, 1900-1948," *Jerusalem Quarterly*, vol. 58, no. 75 (2014), pp. 74-88.

19 Haim Kaufman Yair Galily, "Sport, Zionist Ideology and the State of Israel," *Sport in Society*, vol. 12, no. 8 (2009), pp. 1013-1027; Haggai Harif Yair Galily, "Sport and Politics in Palestine, 1918-48: Football as a Mirror Reflecting the Relations Between Jews and Britons," *Soccer & Society*, vol. 4, no. 1 (2003), pp. 41-56.

13 Suzan Gibril, "Egypt," in: Jean-Michel De Waele et al. (eds.), *The Palgrave International Handbook of Football and Politics* (London: Palgrave Macmillan, 2018), pp. 68, 347-348.

14 Christopher Ferraro, "The Bulldog, the Pharaoh, and the Football: British Imperialism and Egypt's National Sport and Identity, 1882-1934," in: Michael J. Gennaro Saheed Aderinto (eds.), *Sports in African History, Politics, and Identity Formation* (London/ New York: Routledge, 2019), pp. 181-195.

15 David Goldblatt, *The Ball is Round: A Global History of Football* (London: Viking Penguin, 2006), chap. 5.

أما في المغرب وتونس والجزائر، فقد نشأت حركة كرة قدم متميّزة ومنظمة على نحو متزايد في ظل الحكم الاستعماري الفرنسي. ويسلّط ديفيد غولبلات الضوء على أن المنافسة الدولية بين الأندية الكبرى، في هذه المستعمرات، كانت بعد الحرب العالمية الأولى أكثر تطوّرًا مما كانت عليه الحال في أجزاء كثيرة من القارة الأوروبية<sup>(23)</sup>. ومع ذلك، لم يُسمح للسكان المحليين بالمشاركة في المباريات. ومن ثم، شكّل تأسيس السكان المحليين للأندية الأولى، مثل التّرجي الرياضي التونسي عام 1919، عملاً من أعمال المقاومة والتحرّر في مواجهة السلطة الاستعمارية<sup>(24)</sup>. وأدّت الدوافع الجمهورية والوطنية دورًا مركزيًا في تأسيس الأندية المحليّة في الجزائر وتونس. وفي مقابل ذلك، نجح النظام الملكي المغربي، بعد تأسيس نادي الوداد البيضاوي عام 1937، في ترسيخ أحد أشكال الوطنية على نحو كان فيه قريبًا من الدولة، هادفًا إلى الانسجام مع النظام الملكي<sup>(25)</sup>. وقد عارض الوداد، الذي كان يميل إلى الطبقة المغربية الراقية، تأسيس الرجاء البيضاوي عام 1949، باعتباره النادي الرئيس للطبقة العاملة. ومنذ ذلك الحين، تنافس الأنداد المحليون من أجل التفوّق في الدوري الوطني، وفاز كل منهم بدوري أبطال أفريقيا مرارًا وتكرارًا.

وفيما يتعلّق بالتقاليد الغنيّة لكرة القدم في العالم العربي، والحقيقة القائلة إن كرة القدم كانت عاملاً مهمًّا في تشكيل الهويات وتعزيز التحرّر، يسهل القول إن موعد تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم في العالم العربي قد تأخّر. لكن إقامة كأس العالم 2022 في دولة قطر الخليجية، من بين كل الأماكن الأخرى، ينطوي على مفارقة، لأن مراكز اللعبة كانت تقع على مدى عقود في دول شمال أفريقيا، مثل مصر والمغرب وتونس والجزائر، ثم بلاد الشام بدرجة أقل. لقد امتلأت ملاعب كرة القدم بعشرات الآلاف في تلك البلدان، وتطوّرت ثقافات المشجّعين الناشطين، واكتسبت كرة القدم الوطنية أهمية اجتماعية كبيرة. وفي مقابل ذلك، كان وجود كرة القدم في شبه الجزيرة العربية، طوال عقود، غالبًا ما يتّسم بالغموض. ففي الخليج، تأخّرت المواجهات الأولى مع كرة القدم كثيرًا مقارنةً بمصر أو المغرب العربي. ولا توجد تقارير موثّقة عن كرة القدم في دول الخليج ذات المساحة الجغرافية الصغيرة قبل الحرب العالمية الثانية (1939-1945)؛ إذ كانت الكويت وقطر والإمارات والبحرين خاضعة لاتفاقيات حماية مع بريطانيا، استغلّتها للسيطرة على احتياطات النفط والغاز الكبيرة وتأمين الوصول إليها. يقول توم كلايتون، وهو عامل بريطاني اشتغل في مجال

بريطانيا، بكل الوسائل، الحفاظ على سيطرتها السياسية، وخصوصًا عبر تطبيقها استراتيجية "فرّق تسد"، وقامت شرطتها وقواتها العسكرية بإجراءات قمعية كبيرة. وقد وجدت الإدارة الاستعمارية البريطانية أن كرة القدم يمكن أن تؤدي دورًا انضباطيًا في المجتمع، وأنها يمكن أن تكون عنصر توازن بين السكان المحليين في أثناء تنامي التوتّرات<sup>(20)</sup>. لقد عمّل الوجود البريطاني في فلسطين على زيادة شعبية كرة القدم، فأُسست وحدات الشرطة والجيش أندية الخاصة. ونظّمت سلطة الانتداب، في المدة 1931-1947، مباريات شاركت فيها أندية محلية وأخرى بريطانية. ومع ذلك، شهدت ملاعب كرة القدم تعبيرًا عن أعمال عنادية ضد البريطانيين؛ إذ كان يتنامى النظر إليهم بوصفهم سلطة احتلال معادية، ولا سيما مع ظهور محاولات بريطانية وصهيونية متكررة لبدء مسابقات مخصصة حصريًا للمشاركين اليهود، وتهميش الأندية العربية؛ ولا سيما أنه لم يكن يُسمح لها بالمشاركة في البطولات الرياضية.

وفي عام 1928، أسس ناشطون صهيونيون "الاتحاد الفلسطيني لكرة القدم"، الذي حصل - بعد عام واحد - على اعتراف الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا). وكان الشرط المسبق لهذا الاعتراف هو أن يقبل الاتحاد الجديد رسميًا عضوية المواطنين العرب، وألا يكون مقتصرًا على اليهود والإنكليز. وكان أول "بطل" للدوري الفلسطيني هو نادي الشرطة البريطاني عام 1932. واستنادًا إلى اعتراف الفيفا، شارك الفريق الذي يمثل الاتحاد الفلسطيني في التصفيات المؤهّلة لبطولة العالم في عامي 1934 و1938. وخسر الفريق في التصفيات أمام مصر عام 1934، وأمام اليونان عام 1938. وقد حاول هذا الاتحاد عرقلة إقامة مباريات بين أندية فلسطينية وأندية من الدول العربية المجاورة، بحجة أن الأندية الفلسطينية لا تملك عضوية الاتحاد الفلسطيني<sup>(21)</sup>. وبسبب ذلك، تأسس "الاتحاد الرياضي العربي الفلسطيني"، في عام 1931، ليواجه الاتحاد الفلسطيني، ويعبّر عن تطّعات وطنية متنامية نحو الاستقلال. وفي أعقاب الثورة العربية الكبرى عام 1936، أغلق الانتداب البريطاني كثيرًا من الأندية العربية، وأوقف نشاط الاتحاد الرياضي العربي الفلسطيني، وهو الأمر الذي تكرر على نحو مشابه، في الانتفاضة الأولى عام 1987، عندما قمعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي كرة القدم الفلسطينية والمجتمع عمومًا. وفي كل الأحوال، نظّم الاتحاد الفلسطيني لكرة القدم، عام 1942، دوريًا مكونًا من 27 ناديًا<sup>(22)</sup>. وفي عام 1944، تأسس اتحاد عربي فلسطيني جديد يهدف إلى توحيد الأندية العربية كلّها تحت مظلة واحدة.

23 Goldblatt, *The Ball is Round*, pp. 489-490.

24 Mahfoud Amara, *Sport, Politics and Society in the Arab World* (New York: Palgrave Macmillan, 2011), p. 74.

25 Goldblatt, *The Ball is Round*, pp. 489-490.

20 Tamir Sorek, *Arab Soccer in a Jewish State: The Integrative Enclave* (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), p. 16.

21 Khalidi, pp. 74-88.

22 Ibid., p. 82.

تقرير مصير أوطانها، مع أن الاستقلال لم يتحقق، في أغلب الحالات، إلا بُعيد الحرب العالمية الثانية، بسبب محاولة القوى الاستعمارية إطالة أمد حكمها، من خلال وعود مماثلة.

”

أسست القوى الاستعمارية كرة القدم كي تكون رمزاً للتحديث والتقدم، وقد تبناها القوميون أنفسهم حينئذ؛ خدمةً لغاياتهم الخاصة. لكنّها تحوّلت، في الوقت نفسه، من هواية تمارسها النخبة إلى ظاهرة جماهيرية. وبات عدد كبير من الأندية الجديدة يواجه الأندية القديمة التي كانت في أغلبها تحت سيطرة البريطانيين

”

لقد أسست القوى الاستعمارية كرة القدم كي تكون رمزاً للتحديث والتقدم، وقد تبناها القوميون أنفسهم حينئذ؛ خدمةً لغاياتهم الخاصة. لكنّها تحوّلت، في الوقت نفسه، من هواية تمارسها النخبة إلى ظاهرة جماهيرية. وبات عدد كبير من الأندية الجديدة يواجه الأندية القديمة التي كانت في أغلبها تحت سيطرة البريطانيين. وفي العراق، مثلاً، أصبحت الأندية الرياضية التي ظهرت في ظل الوجود العسكري البريطاني - مثل نادي القوة الجوية المذكور آنفاً - رموزاً للاستقلال الذي تحقّق حديثاً. أما مصر، فهي مثال مركزي للدور الذي أدته كرة القدم في التمكين الوطني. والمثال الأبرز في الحالة المصرية للنادي الفاعل في مناهضة الاستعمار هو نادي الأهلي الرياضي، الذي أُسس في القاهرة عام 1907، ليكون أول نادٍ "مصري للمصريين". ودفعت شعبية الأهلي المتنامية في مصر إلى تأسيس منافسه اللدود عام 1911؛ نادي الزمالك الرياضي، الذي كان يُسمى آنئذٍ "نادي قصر النيل"، ثم أعيدت تسميته فيما بعد ليصبح "نادي القاهرة المختلط"؛ لأنه سمح للأوروبيين والمصريين معاً بالحصول على عضويته. وقد نالت مصر استقلالها الشكلي عام 1922، لكنها ظلّت تستند إلى المملكة المتحدة في ظل حكم الملك فؤاد الأول الموالي لبريطانيا. وبخلاف النادي الأهلي، كان الزمالك نادي الطبقة المصرية الراقية والنادي المفضل بالنسبة إلى الملك فاروق الذي أعاد تسميته بـ "نادي الفاروق"، إلى أن جرت إطاحة النظام الملكي بعد انقلاب جمال عبد الناصر في عام 1952. لقد أصبحت ساحة كرة القدم ملعباً سياسياً متنازلاً عليه، في سياق مناهضة الاستعمار؛ فحين بلغ المنتخب المصري دور النصف النهائي في أولمبياد

النفط في قطر بدايةً من عام 1948، في شهادة قدّمتها عام 2018 عن بدايات تعرّف المجتمعات الخليجية إلى كرة القدم: "في البداية، كان العمال الهنود يلعبون مع عدد قليل من مهندسي الإنتاج البريطانيين الذين تعيّن عليهم أن يعلموهم قواعد اللعبة". وفي مطلع خمسينيات القرن الماضي، خاض عمال صناعة النفط في قطر مبارياتهم ودوريّاتهم الخاصة. ويذكر كلايتون أن بعض القطريين انضموا إلى اللعبة في مرحلة مبكرة: "كان لدى شركة تطوير بترول قطر برنامج تدريبي كبير للسكان المحليين. لقد شجّعناهم على المشاركة، وقد فعلوا ذلك"<sup>(26)</sup>.

في هذه المرحلة أيضاً، أنشأ السكان المحليون أندية كرة القدم الأولى، مثل نادي النجاح الرياضي، وهو أول نادٍ قطري أُسس في الدوحة عام 1950، وبات يسمّى النادي الأهلي الرياضي. وإذا قارناً ذلك بناادي الاتحاد في جدة بالسعودية الذي أُسس عام 1927، أو نادي المحرق الرياضي في البحرين الذي أُسس بعد ذلك بعام واحد، فإن التأسيس تأخر في قطر. كانت قطر ودول الخليج الأخرى محميات بريطانية آنذاك؛ ما منعها من تقرير المصير، سواء على المستوى السياسي، أو فوق أرض الملعب. لكن فعاليات كرة القدم انطلقت بسرعة في هذه البلدان في أوائل السبعينيات، بعد الاستقلال مباشرة، لتنضم اتحادات كرة القدم فيها، التي كانت موجودة حتى قبل الاستقلال، إلى الفيفا. ولم تمض سوى بضعة أشهر على إعلان استقلالهما، حتى لعبت قطر والإمارات أولى مبارياتهما الدولية بوصفهما دولتين تتمتعان بالسيادة، وذلك في 17 آذار/ مارس 1972، حينما شاركتا في كأس الخليج العربي وواجهتا بعضهما مباشرة<sup>(27)</sup>.

## كرة القدم بوصفها ظاهرة جماهيرية وساحة للتعبئة القومية

نشأت الفكرة القومية في أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر. وانتقلت، بقوة، إلى الشرق الأوسط، حتى قبل الاستعمار الفعلي في مطلع القرن العشرين. وأصبحت النزعة القومية دافعاً أساسياً لجهود التحرّر في المنطقة، وعزّزت التعبئة المتنامية لدى شعوبها، ورغبتها في

26 Anthony Harwood, "The Man Who Helped Bring Football to Qatar: British Former Oil Worker, 92, and his Indian Colleagues Played the Beautiful Game in Front of Baffled Local Tribesmen in the Middle East More Than 70 Years Before the 2022 World Cup," *Mail Online*, 22/11/2018, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3AQIQgw>; "Take 4 Minutes Out of your Day to Watch This... @CarrieBrownTV Caught Up With Tom Clayton, 92, Who Arrived in #Qatar in 1948 and Helped Introduce #Football to the Middle East," *Twitter-Post from beIn Sports, Twitter*, 8/12/2018, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3ENrjxt>

27 Ali Khaled, "The Birth of UAE Football: Class of '72 Acted as a Springboard to Bigger Things," *The National*, 7/9/2015, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3OMTwmj>

لم تكن فرنسا وبريطانيا السلطتين الاستعماريّتين الوحيدتين اللتين عمّلتا من أجل السلطة والنفوذ في شمال أفريقيا. كانت أجزاء من ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي في المدة 1911-1943. وقد خاضت القوات الإيطالية حرباً دموية ضد المقاومة الليبية في المدة 1911-1932، واستخدمت في أثناء ذلك الغازات السامة والإعدامات الجماعية. أرادت إيطاليا تحويل ليبيا إلى مستعمرة استيطانية للمهاجرين الإيطاليين، لذلك تعاملت مع السكان العرب والبربر المحليين بالطرد والإبادة الوحشية. وقد نظر النظام الفاشي الإيطالي بقيادة بينيتو موسوليني إلى الرياضة بوصفها لبنة أساسية في تثقيف السكان على وفق الأيديولوجيا الفاشية، وسدّاً في وجه الاضطرابات الاجتماعية، وهو أمرٌ انعكس في "ليبيا الإيطالية" أيضاً. أسس المستعمرون الإيطاليون اتحادات كرة القدم الخاصة بهم في أواخر عشرينيات القرن الماضي، وكانت موزّعة على المناطق الإدارية الاستعمارية في برقة وطرابلس. وحين وقعت ليبيا تحت سيطرة قوات التحالف عام 1943، شهد الاستعمار الإيطالي نهايته الرسمية. وبعد حصول ليبيا على استقلالها عام 1951، أسست دوريتها الرياضي ومنتخبها الوطني، ولعبت مباراتها الأولى عام 1953.

لقد أسهمت ثماني دول من أوروبا الغربية في تأسيس الفيفا، لكن بحلول عام 1939 ارتفعت العضوية فيه إلى 56 دولة، من بينها مصر ولبنان وسورية. وبعد الاستقلال الوطني الذي تمّتعت به كثير من الدول في أعقاب الحرب العالمية الثانية، لم تنضمّ تلك الدول مباشرة إلى عضوية الأمم المتحدة فحسب، بل إلى الفيفا أيضاً. وقد حصلت بعض الدول، ومنها فلسطين مثلاً، على عضوية الفيفا على الرغم من أنها ليست دولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة. وقد مُنحت فلسطين صفة مراقب عام 2012، بوصفها دولة غير عضو في الأمم المتحدة، لكن الفيفا قبل عضويتها عام 1998. أصبحت كرة القدم رمزاً وطنياً قوياً، ويمثّل اعتراف الفيفا خطوة مهمة في طريق التحرّر الوطني.

يشير محفوظ عمارة إلى أن الرياضة شكّلت في نهاية الأمر مؤشراً مهماً في الدلالة على المشاعر الوطنية، وأنها أسهمت في تعزيز التضامن العربي (من خلال دورة الألعاب العربية التي بدأتها جامعة الدول العربية في خمسينيات القرن العشرين) والتعاون السياسي والاقتصادي الإقليمي<sup>(31)</sup>. ومع ذلك، يسلط عمارة الضوء أيضاً على أن "الدول المستقلة حديثاً قد قبلت أن تتبنّى النموذج الرياضي الاستعماري، مع قليل من النقد أو التكيف مع الخصوصية المحليّة"<sup>(32)</sup>. وهكذا،

عام 1928، وجد عدد كبير من المصريين في ذلك دليلاً على أنهم باتوا متساوين مع بريطانيا العظمى؛ القوة الاستعمارية السابقة<sup>(28)</sup>. ثم إن المنتخب المصري تأهل لاحقاً لكأس العالم، في عامي 1934 و1938، وهو أمرٌ عزّز تطّعات المصريين نحو الاستقلال الوطني. هذا المثال المصري يناظره مثال مغربي؛ فحين هُمّشت الهيمنة الفرنسية، هُمّست على أرض الملعب أيضاً، بعد أن أحرز نادي الوداد البيضاوي بطولة شمال أفريقيا لكرة القدم ثلاث مرات متوالية خلال المدة 1948-1950. وفي الجزائر، كان للأندية التي عُرفت باسم "الأندية الإسلامية" (الأندية التي أسسها السكان المحليون بشكل مستقل عن الإدارة الاستعمارية) دور مركزي في النضال من أجل الاستقلال عن فرنسا<sup>(29)</sup>. وقد كان مؤسسو هذه الأندية يسعون للتعبير عن هويتهم الإسلامية؛ كما يتضح ذلك من أسماء الأندية نفسها. وبالفعل، أسهمت هذه الأندية في تكوين هوية وطنية جزائرية منفصلة. وهكذا، صارت الملاعب أماكن للتعبئة الوطنية؛ إذ استطاع الجزائريون أخيراً التعبير بحرية عن رفضهم للحكم الأجنبي الفرنسي. وحاولت فرنسا كبح تلك التطّعات من خلال إصدار أمر يقضي بضرورة أن يضمّ كل نادٍ ما لا يقلّ عن خمسة لاعبين أوروبيين. وفي أثناء الثورة الجزائرية وحرب التحرير (1954-1962)، أسست جبهة التحرير الوطني منتخبها القومي عام 1958، تعبيراً عن الاستقلال الوطني. وقبل رشيد مخلوفي، وهو أشهر لاعب كرة قدم جزائري، التعايش مع حقيقة أنه لن يتمكن من اللعب في "موندبال" السويد مع المنتخب الفرنسي، لأنه كان عضواً في المنتخب القومي الجديد الذي أسسته جبهة التحرير الوطني. وقد رفض الفيفا ومعظم الدول الغربية الاعتراف بهذا المنتخب، فبدأ مخلوفي جولة مكثّفة في بلدان الكتلة الشرقية ودول عدم الانحياز. وفي نهاية الأمر، حدث تغيير سياسي أعقب الرغبة في استقلال الملاعب؛ إذ حصلت الجزائر على استقلالها في آذار/ مارس 1962، واعترف الفيفا بذلك بعد عام واحد<sup>(30)</sup>.

28 Alon Raab "The Universe is Shaped like a Football: Football and Revolution," *The International Journal of the History of Sport*, vol. 31, no. 7 (2014), pp. 795-799, 814.

29 Mahfoud Amara Youcef Bouandel, "Algeria," in: De Waele et al., pp. 329-330, 345.

30 ينظر خصوصاً:

Kader Abderrahim, *L'indépendance comme seul but* (Paris: Paris-Méditerranée, 2008); Michel Nait-Challal, *Dribbleurs de l'indépendance: L'incroyable histoire de l'équipe de football du FLN algérien* (Paris: Editions Prolongations, 2008); Philip Dine, "France, Algeria and Sport: From Colonisation to Globalisation," *Modern & Contemporary France*, vol. 10, no. 4 (2002), pp. 495-505; Pierre Lanfranchi Alfred Wahl, "The Immigrant as Hero: Kopa, Mekloufi and French Football," *The International Journal of the History of Sport*, vol. 13, no. 1 (1996), pp. 114-127.

31 Amara, pp. 7-11.

32 Ibid.

البطولة. وعندما فاز المنتخب الأردني في نهائي مسابقة كرة القدم بركلات الترجيح ضد العراق، احتفل عبد الله الثاني في الملعب على نحو حماسي، وقد كان حاضرًا المباراة كاملة، مرتديًا قميص المنتخب الوطني الأردني (عليه الرقم 99).

وفي العراق، كان عدي، نجل الرئيس صدام حسين، يشغل منصب رئيس اللجنة الأولمبية في العراق، وكان يلقي بلاعبين منتخب كرة القدم في السجن ويعاقبهم، مع بعض التعذيب أحيانًا، في حال تعرضهم لهزيمة في بعض المباريات المهمة (على نحو ما حصل بعد فشل المنتخب العراقي في التأهل لبطولة كأس العالم عام 1994 مثلاً<sup>(33)</sup>)؛ وهذا الأمر اضطر الفيفا إلى فتح تحقيق ميداني بعد انتشار مزاعم التعذيب الخطيرة<sup>(34)</sup>. وقد أجبرت سمعة عدي السيئة، بوصفه مرتكبًا لأفعال سادية، والده على ألا يكلفه مهمات سياسية ذات أهمية، على نحو ما فعل مع شقيقه الأصغر، قصي، وظل دوره في الشأن العام محصورًا في المجالين الرياضي والثقافي/الإعلامي.

أما في ليبيا، فقد سيطر الساعدي؛ نجل مُعمر القذافي على كل جوانب كرة القدم الليبية، بوصفه رئيسًا لاتحاد كرة القدم، فضلًا عن كونه رئيسًا لنادي أهلي طرابلس. وفي "ديري" العاصمة، الذي جمع ناديي أهلي طرابلس والاتحاد الليبي في تموز/ يوليو 1996، احتسب الحكم هدفًا للأهلي في مشهد مشكوك فيه، قبل نهاية المباراة بلحظات. كان الساعدي يحضر المباراة، واشتبه الفريق المنافس في حدوث خطأ مُتعمد، صبَّ في مصلحة فريق القذافي. فاقتحم مشجعو الاتحاد الغاضبون الملعب، وهم يهتفون بشعارات مناهضة للنظام. وفي أثناء الاضطرابات التي تلت ذلك، تسربت معلومات قالت إن حراس القذافي الشخصيين قتلوا ثمانية أشخاص، على الأقل، فضلًا عن إصابة العشرات<sup>(35)</sup>. وامتدت سيطرة الساعدي القذافي من المباراة إلى أرض الملعب أيضًا؛ فضلًا عن كونه مسؤولًا رياضيًا، نزل بنفسه إلى الميدان للعب بوصفه قائدًا لأهلي طرابلس، ووعد زملاؤه بالحصول على مكافآت إذا مرّوا إليه الكرة، وصدرت توجيهات للمعلقين بالألا يذكروا إلا اسمه في أثناء بثّ المباراة. أما اللاعبون الآخرون، فكان يُفترض أن يذكر المعلقون أرقام قمصانهم فحسب<sup>(36)</sup>. حصل

أدت كرة القدم دورًا غامضًا في منطقة المواجهة مع المفاهيم الغربية للحدثة، فكانت محرّكًا للوطنية وأداة لها في سبيل الاستقلال، فضلًا عن كونها إرثًا دائمًا للعصر الاستعماري وعنصرًا تكامليًا في الهياكل والتوازنات القائمة في إدارة الرياضة العالمية والمجتمع الدولي برمّته.

”

لم تكن كرة القدم وسيلة وطنية لمناهضة الاستعمار فحسب؛ إذ سرعان ما أدرك الحكّام المستبدّون، الذين استولوا على مقاليد السلطة في كثير من دول الشرق الأوسط، قدرة كرة القدم على صرف الانتباه عن المظالم السياسية وتعزيز شرعيتهم. وفضلًا عن ذلك، أدرك كثير من الحكّام أهمية السيطرة على كرة القدم، بغية نشر دعاية النظام القائم ومنع ظهور فضاء للتعبير الحرّ

”

## الدعاية والعنف

لم تكن كرة القدم وسيلة وطنية لمناهضة الاستعمار فحسب؛ إذ سرعان ما أدرك الحكّام المستبدّون، الذين استولوا على مقاليد السلطة في كثير من دول الشرق الأوسط، قدرة كرة القدم على صرف الانتباه عن المظالم السياسية وتعزيز شرعيتهم. وفضلًا عن ذلك، أدرك كثير من الحكّام أهمية السيطرة على كرة القدم، بغية نشر دعاية النظام القائم ومنع ظهور فضاء للتعبير الحرّ.

فعلى سبيل المثال، اكتسبت النجاحات الكثيرة التي حقّقها المنتخب المصري في كأس أفريقيا، أهميتها لدى الرئيس حسني مبارك؛ فهذه النجاحات كانت فرصة للاحتفال بالأمة المصرية، على الرغم من تنامي الاستياء من الفساد والأزمات الاقتصادية والعنف البوليسي المتفشّي. ولذلك، كان مبارك يبذل جهودًا كبيرة لتنظيم احتفالات انتصارات المنتخب المصري وفوزه ونجاحاته.

وفي الأردن، افتتح الملك عبد الله الثاني، بعد أشهر قليلة من وصوله إلى العرش، دورة الألعاب العربية في عمّان، خلال صيف عام 1999، التي كُرّست لذكرى والده الملك حسين، المتوفّي قبل أشهر من

33 Philip Sherwell, "Saddam's Son Tortured Defeated Footballers," *The Telegraph*, 5/11/2000, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3VjTtR6>

34 Suzanne Goldenberg, "Footballers Who Paid the Penalty for Failure," *The Guardian*, 19/4/2003, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3GVd45P>

35 Amara, p. 11.

Andrew Gumbel, "Gadafi's Soccer Foes Pay Deadly Penalty," *Independent*, 14/7/1996, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3UfYU77>; Goldblatt, *The Age of Football*, S. 118.

36 Goldblatt, *The Age of Football*, S. 118-119.



لقد وجدت المنافسات الإقليمية مكاناً في ملاعب كرة القدم؛ إذ شهدت تصفيات كأس العالم 2010 بين مصر والجزائر توترات كانت تُقارَن، في أحيان كثيرة، بما يُسمّى "حرب كرة القدم" بين هندوراس والسلفادور عام 1969. فجرت الأجواء الساخنة في الألعاب الرياضية، مواجهات دبلوماسية وأعمال شغب عنيفة في القاهرة، أججها أيضاً الرئيس المصري مبارك، وخاصة نجله جمال.

وفي مثال آخر، أسهم الصراع في الشرق الأوسط في تأجيج نزاع في الفيفا؛ إذ يحاول الفلسطينيون لفت الانتباه إلى الاحتلال المستمرّ لفلسطين وانتهاكات حقوق الإنسان التي ينطوي عليها؛ فمثلاً، لا يستطيع لاعبو كرة القدم في غزة السفر لحضور المباريات بسبب الحصار الإسرائيلي المتواصل، ثم إن الاحتلال الإسرائيلي المستمرّ يعوق بشكل خطير تنظيم أنشطة كرة القدم الفلسطينية محلياً ودولياً.

ومثلما احتلّت سياسات كرة القدم في شبه الجزيرة العربية مركز الصدارة خلال الأزمة الخليجية (2017-2021)، كانت الأنشطة الهادفة إلى تعطيل استعدادات قطر لاستضافة كأس العالم وإكمال البنية التحتية الرياضية (بما في ذلك قرصنة قنواتها الرياضية الرئيسة "بي إن سبورتس") جزءاً من الحملة الموجهة ضد قطر.

” أصبحت الملاعب الرياضية، في سياق الانتفاضات العربية وقبلها، مراكز لقوى الاحتجاج السياسي، فقد شهد عام 2007 تأسيس الألتراس المصري بقيادة "الأهلاوي"، ليمثّل حقاً مجموعة بارزة قبل مجيء الربيع العربي، خلقت ثقافتها السرية عبر الطبقات الاجتماعية، حتى إنّ أشكالها التعبيرية وُجّهت ضد الدولة ومؤسسة كرة القدم الرسمية

٢٢

## القوة الانعتاقية لكرة القدم

أصبحت الملاعب الرياضية، في سياق الانتفاضات العربية وقبلها، مراكز لقوى الاحتجاج السياسي، فقد شهد عام 2007 تأسيس الألتراس المصري بقيادة "الأهلاوي"، وهو ألتراس النادي الأهلي، ليمثّل حقاً مجموعة بارزة قبل مجيء الربيع العربي، خلقت ثقافتها السرية عبر الطبقات الاجتماعية، حتى إنّ أشكالها التعبيرية وُجّهت ضد الدولة ومؤسسة

الساعدي على لقب "لاعب العام في ليبيا" في المدة 2001-2003. وقد انتهت مسيرة المدرب الإيطالي فرانكو سكوليو في تدريب المنتخب الليبي عام 2002، بعد أن رفض إشراك الساعدي في مباريات الفريق.

وبعد ثورة 2011، أصبحت كرة القدم ساحة تنافس بين طرابلس العاصمة وبنغازي، عاصمة إقليم برفة (شرق ليبيا)، التي كانت - في عهد القذافي - معقلاً للمعارضة؛ إذ اختزن أهلها الشعور بالمظالم، وبأنها فقدت مكانتها. كان النادي الأساسي في بنغازي هو النادي الأهلي، الذي أسسه أنصار عمر المختار؛ البطل القومي الذي كان قائداً للمقاومة الليبية ضدّ المستعمرين الإيطاليين، وهو يشترك مع الأهلي (طرابلس) في الاسم. والنادي الأخير دعمه الساعدي، وانتدب إليه أفضل اللاعبين في الدوري، وكان الحكام غالباً ما يحابونه في قراراتهم. من هنا، كان النادي الأهلي (بنغازي) يمثّل مشكلة بالنسبة إلى الساعدي القذافي. وفي صيف عام 2000، عندما كان الأهلي يواجه خطر الهبوط إلى دوري الدرجة الثانية، حُسم مصير النادي بقرار تحكيمي مثير للجدل؛ ما فجّر احتجاجات جماهيرية ضد نظام القذافي، أفضت إلى اعتقال نحو 80 مناصراً للأهلي وتعذيبهم، وحُكِم على 32 مشجّعاً بالسجن، وعلى ثلاثة منهم بالإعدام. ولم يكتفِ الساعدي القذافي بذلك، بل حاول القضاء على منافسه الرياضي من خلال هدم ملعبه، ودك مقره، وحظر استخدام ألوانه (الأحمر والأبيض) علناً<sup>(37)</sup>.

في العقود الأخيرة، اكتشفت دول الخليج العربية، التي تمتلك موارد ضخمة من النفط والغاز، أهمية كرة القدم بوصفها أداة لـ "القوة الناعمة". ولما كانت نهاية الوقود الأحفوري تلوح في الأفق، أدركت قطر والإمارات والسعودية أن الاستثمارات في كرة القدم فرصة لمزيد من الاعتراف العالمي والنفوذ ودعم المصالح السياسية الأمنية. وبناءً على ذلك، أصبحت قطر المالك الفعلي لنادي باريس سان جيرمان، في حين استحوذت الإمارات الريادة على نادي مانشستر سيتي عام 2008. ويُعد "شراء" السعودية نادي نيوكاسل يونايتد عام 2021 أحدث تطوّر في هذه الديناميكية التي تحيط بها استثمارات ضخمة في الرعاية أيضاً؛ سواء كان ذلك في حالة طيران الإمارات التي ترعى أرسنال اللندني، أو طيران الاتحاد مع مانشستر سيتي، أو الخطوط الجوية القطرية في حالة نادي برشلونه. وفي الوقت نفسه، ثمة أمل متعلق بأن تكون كرة القدم، في هذه الحالة، محرّكاً للتحديث الاجتماعي<sup>(38)</sup>.

37 Juliane von Mittelstaedt, "A Revolution Foreshadowed on the Pitch of Benghazi," *Spiegel*, 15/7/2011, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3UmqV8m>

38 Mehran Kamrava et al., "Ruling Families and Business Elites in the Gulf Monarchies: Ever Closer?" Research Paper, Middle East and North Africa Programme, Chatham House, London, November 2016, accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/2BbAUyx>

وعبد الكريم العوج كيفية مرور كرة القدم بتحوّل في اليمن الجنوبي؛ من كونها أداةً استعمارية مشتركة إلى فاعل في مناهضة الاستعمار ومصدر للتضامن المحلي، وأنها ارتبطت، إلى حد بعيد، بالأيديولوجيا الاشتراكية للدولة المستقلة عام 1967<sup>(44)</sup>.

وفي اليمن الشمالي، بدأت كرة القدم بوصفها رمزاً للحدثة والتقدم، وظلت فضاءً لمعارضة القيادة الدينية. لقد بقيت كرة القدم، في ظل المشهد اليمني المعقّد، مصدرًا للهوية في مستويات شتى؛ ما وُفّر في نهاية الأمر ملعباً مهماً للهوية وطنية يمنية مشتركة. وقد حافظت كرة القدم، في كل ذلك، على كونها واحدة من الأطر المنظمة القليلة للتبادل الثنائي الوثيق بين شطري الدولة المنقسمة، لتصبح لاحقاً رمزاً لتمثيل كلا الجانبين تمثيلاً "عادلاً" بعد الوحدة، عندما انقسم المنتخب الوطني قسمين، وقدم الطرفان 50 في المئة من اللاعبين إلى المنتخب الذي مثل اليمن في أولمبياد برشلونه عام 1992. وإذا كان يمكن أن تُظهر مثل هذه الحالات القوة الاندماجية لكرة القدم، فإنّ الإسهام الإجمالي في بناء الهوية الوطنية والإمكانات الانتعاقية النهائية لكرة القدم يبقى مستنداً، إلى حد بعيد، إلى السياق السياسي<sup>(45)</sup>.

## خاتمة

قد تكون السلطة الانتعاقية والاندماجية لكرة القدم أكثر وضوحاً في المستوى الاجتماعي، فقد شهدت العقود الأخيرة اعترافاً رسمياً بكرة القدم النسائية، على الأقل، في كل دول المنطقة التي طالما اعتبرت تلك اللعبة "غير إسلامية"، على الرغم من أن طريق الترويج لها وانتشارها ما زال طويلاً. وفي إيران، تواصل المشجعات معركتهن من خلال حملة ذات أهمية كبيرة، هادفة إلى السماح لهن بالوصول إلى الملاعب، ولكن لم تؤدّ معركتهن إلا إلى نجاح جزئي<sup>(46)</sup>. وفي احتجاجات عام 2022

كرة القدم الرسمية. وقد نظر نظام مبارك إلى عرض الأتراس للثقافة المضادة بوصفه "تهديداً تخريبياً لسلطة الدولة"<sup>(39)</sup>. ولذلك، حصلت بعد إنشائه موجات مستمرة مع الشرطة، أسفرت عن اعتقالات سياسية. وأسهمت المواجهات، نتيجةً لذلك، في تسييس الأتراس على نحو أكبر؛ وهو أمر صار يتجاوز القضايا المتعلقة بموضوع كرة القدم<sup>(40)</sup>.

وفي الانتفاضات العربية في عام 2011، باتت القدرات التمكينية التي تتسم بها كرة القدم ومجموعات المشجعين، واضحة منذ نهاية عام 2010. وقد أدى أعضاء مجموعات الأتراس دوراً بارزاً في احتجاجات ميدان التحرير ضد حكم مبارك استناداً إلى تجاربهم في قتال الشوارع. لكنهم كانوا أيضاً ضحايا واحدة من أكثر المذابح الوحشية في التاريخ المصري؛ إذ قُتل 74 فرداً من مشجعي النادي الأهلي في ملعب بورسعيد عام 2012، في حين اكتفت قوات الأمن بمراقبة عملية القتل التي قيل إن الدولة خطّطت لها<sup>(41)</sup>.

وشارك الأتراس في الاحتجاجات التي أسفرت عن إطاحة الدكتاتور زين العابدين بن علي في تونس. وفي سياق هذه الحالة، انضمّ تحالف تخريبي من ناشطي الإنترنت عام 2010، إلى مجموعتي تركز وألتراس اللتين نشطتا في الاحتجاجات في الاحتجاجات ضدّ النظام التونسي في كانون الأول/ ديسمبر 2010<sup>(42)</sup>.

ينبغي كذلك رصد قوة كرة القدم في الاندماج والمساواة على المسرح الدولي. ومثال العراق مهمّ في هذا السياق؛ إذ كان نجاح المنتخب العراقي لكرة القدم يقدّم البديل للانقسامات الطائفية والإثنية التي طغت في البلاد، ويقدم رؤية أخرى للأمة أيضاً، وهو ما فعله فوز منتخب عراقي مكوّن من شيعة وسنة وكرد بكأس أمم آسيا عام 2007، في ذروة الحرب الأهلية التي شهدتها البلاد (2006-2008)<sup>(43)</sup>.

وتعدّ المباريات التي جمعت جمهوريتي اليمن الشمالي واليمن الجنوبي، في سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته مثلاً آخر، حين كانت دبلوماسية كرة القدم جزءاً من انفراج تدريجي أدى في نهاية الأمر إلى توحيد الدولتين عام 1990. ويوضح توماس ب. ستيفنسون

44 Thomas B. Stevenson Abdul Karim Alaug, "Football in Newly United Yemen: Rituals of Equity, Identity, And State Formation," *Journal of Anthropological Research*, vol. 56, no. 4 (2000), pp. 453-475; Thomas B. Stevenson Abdul Karim Alaug, "Sports Diplomacy and Emergent Nationalism: Football Links between the Two Yemens, 1970-1990," *Anthropology of the Middle East*, vol. 3, no. 2 (2008), pp. 1-19.

45 Stevenson Alaug, "Football in Newly United Yemen," pp. 453-475; Stevenson Alaug, "Sports Diplomacy and Emergent Nationalism," pp. 1-19.

46 Houchang E. Chehabi, "The Juggernaut of Globalization: Sport and Modernization in Iran," *The International Journal of the History of Sport*, Routledge, vol. 19, no. 2-3 (2002), pp. 275-294; Houchang E. Chehabi, "The Politics of Football in Iran," *Soccer & Society*, vol. 7, no. 2-3 (2006), pp. 233-261; Fozooni Babak, "Religion, Politics and Class: Conflict and Contestation in The Development of Football in Iran," *Soccer & Society*, vol. 5, no. 3 (2004), pp. 356-370.

39 Ronnie Close, *Cairo's Ultras: Resistance and Revolution in Egypt's Football Culture* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2019), p. 18.

40 Ibid., pp. 10, 19-20.

41 ينظر: Carl Rommel, *Egypt's Football Revolution: Emotion, Masculinity, and Uneasy Politics* (Austin: University of Texas Press, 2021).

42 John Pollock, "Streetbook: How Egyptian and Tunisian Youth Hacked the Arab Spring," *MIT Technology Review* (2011), accessed on 29/7/2022, at: <https://bit.ly/3FbWX2v>

43 Simon Freeman, *Baghdad FC: Iraq's Football Story* (London: John Murray, 2005).

## المراجع

- Abderrahim, Kader. *L'indépendance comme seul but*. Paris: Paris-Méditerranée, 2008.
- Acharya, Amitav. "How Ideas Spread: Whose Norms Matter? Norm Localization and Institutional Change in Asian Regionalism." *International Organization*. vol. 58, no. 2 (2004).
- Amara, Mahfoud. *Sport, Politics and Society in the Arab World*. New York: Palgrave Macmillan, 2011.
- Babak, Fozooni. "Religion, Politics and Class: Conflict and Contestation in The Development of Football in Iran." *Soccer & Society*. vol. 5, no. 3 (2004).
- Chehabi, Houchang E. "The Juggernaut of Globalization: Sport and Modernization in Iran." *The International Journal of the History of Sport*. Routledge. vol. 19, no. 2-3 (2002).
- \_\_\_\_\_. "The Politics of Football in Iran." *Soccer & Society*. vol. 7, no. 2-3 (2006).
- Close, Ronnie. *Cairo's Ultras: Resistance and Revolution in Egypt's Football Culture*. Cairo: The American University in Cairo Press, 2019.
- Danyl Reiche Tamir Sorek (eds.). *Sport, Politics and Society in the Middle East*. London: Hurst Company, 2019.
- Dine, Philip. "France, Algeria and Sport: From Colonisation to Globalisation." *Modern & Contemporary France*. vol. 10, no. 4 (2002).
- Dorsey, James M. *The Turbulent World of Middle East Soccer*. London: Hurst Company, 2016.
- Dubois, Lauren. "Diffusion and Empire." in: Robert Edelman Wayne Wilson (eds.). *The Oxford Handbook of Sports History*. Oxford: Oxford University Press, 2017.
- Edelman, Robert Wayne Wilson (eds.). *The Oxford Handbook of Sports History*. Oxford: Oxford University Press, 2017.

الواسعة النطاق التي أعقبت مقتل مهسا أميني، الشابة التي اعتُقلت بتهمة ارتداء الحجاب "بشكل غير لائق"، لم تبقى كرة القدم في الهامش؛ إذ عبّر نجوم مشهورون - من بينهم علي دايّ وعلي كريمي - عن تضامنهم في هذا الشأن، في حين أغلقت الحكومة الإيرانية مباريات الدوري أمام الجماهير خوفاً من تصاعد حدة الاحتجاجات.

وبعد الحماسة التي أشعلتها الثورات العربية، التي طالبت بـ "الكرامة"، ومن ذلك المشاركة في ملاعب كرة القدم، عادت البنى السلطوية إلى حالها التي كانت عليها قبل الثورات. وفي مصر، مثلاً، امتدّت محاولات السلطة المتجدّدة في تقييد حرية التعبير إلى ملاعب كرة القدم ثانية. ففي عام 2017، أُدرج اللاعب محمد أبو تريكة، وهو واحد من أبرز اللاعبين في تاريخ كرة القدم المصرية، في قائمة الإرهاب، بسبب علاقته المزعومة بالإخوان المسلمين. وفي عام 2018، أُضيف ألتراس أهلاوي إلى القائمة، فضلاً عن قرار إقامة مباريات الدوري المحلي والكأس من دون جمهور طوال ستة مواسم (2012-2018)، بعد حادثة مشجعي النادي الأهلي المذكورة آنفاً. وقد كانت أزمة الإغلاق بسبب ظروف جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، في المدة 2020-2021، فرصة لتجديد هذا القرار.

توضّح كل هذه الأمثلة المأخوذة من تاريخ كرة القدم في الشرق الأوسط ما تتضمنه، على نحو يكاد يكون مستمراً، من تعارضات بين ديناميكيات انعتاقية وثورية من جهة، وقوى مضادة من جهة أخرى. تظلّ كرة القدم "لعبة متمردة"؛ يمكن أن تروّج لرموز وهويات محدّدة، غير أنها تبقى مستندة إلى السياق السياسي والديناميكيات السياسية، محلياً وعالمياً. وقد يكون هذا أحد أسباب عدم بروز منتخبات بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عالمياً. ومع ذلك، ما تزال هذه المنطقة مثلاً مهماً دالاً على بيئة متقلّبة وسريعة التغيّر تشهد أدواراً مختلفة جداً مرتبطة بكرة القدم. وقد يكون كأس العالم في قطر آخر التجسيّدات لهذه الأدوار المختلفة.

- Koller, Christian Fabian Brandle. *Goal!: A Cultural and Social History of Modern Football*. Washington, D.C: The Catholic University of America Press, 2015.
- Kuhn, Gabriel. *Soccer vs. the State: Tackling Football and Radical Politics*. Oakland, CA: PM Press, 2011.
- Lanfranchi, Pierre Alfred Wahl. "The Immigrant as Hero: Kopa, Mekloufi and French Football." *The International Journal of the History of Sport*. vol. 13, no. 1 (1996).
- Lopez, Shaun T. "On Race, Sports, and Identity: Picking up the Ball in Middle East Studies." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 41, no. 3 (2009).
- Martin, Phyllis M. "Colonialism, Youth and Football in French Equatorial Africa." *The International Journal of the History of Sport*. vol. 8, no. 1 (1991).
- Mubarak, Hassanin. *Birth of the Lions of Mesopotamia. The early years of football in Iraq*. UK: Hassanin Mubarak, 2020.
- Nait-Challal, Michel. *Dribbleurs de l'indépendance: L'incroyable histoire de l'équipe de football du FLN algérien*. Paris: Editions Prolongations, 2008.
- Pollock, John. "Streetbook: How Egyptian and Tunisian Youth Hacked the Arab Spring." *MIT Technology Review* (2011). at: <https://bit.ly/3FbWX2v>
- Raab, Alon Issam Khalidi (eds.). *Soccer in the Middle East*. London: Routledge, 2015.
- Raab, Alon. "The Universe is Shaped like a Football: Football and Revolution." *The International Journal of the History of Sport*. vol. 31, no. 7 (2014).
- Reiche, Danyel Tamir Sorek (eds.). *Sport, Politics and Society in the Middle East*. Oxford University Press, 2019.
- Rommel, Carl. *Egypt's Football Revolution: Emotion, Masculinity, and Uneasy Politics*. Austin: University of Texas Press, 2021.
- Freeman, Simon. *Baghdad FC: Iraq's Football Story*. London: John Murray, 2005.
- Gennaro, Michael J. Saheed Aderinto (eds.). *Sports in African History, Politics, and Identity Formation*. London/ New York: Routledge, 2019.
- Giulianotti, Richard Roland Robertson. "The Globalization of Football: A Study in the Glocalization of the 'Serious Life.'" *The British Journal of Sociology*. vol. 55, no. 4 (2004).
- Goldblatt, David. *The Ball is Round: A Global History of Football*. London: Viking Penguin, 2006.
- \_\_\_\_\_. *The Age of Football: The Global Game in the Twenty-First Century*. London: Macmillan, 2019.
- Haggai Harif Yair Galily. "Sport and politics in Palestine, 1918–48: Football as a Mirror Reflecting the Relations Between Jews and Britons." *Soccer & Society*, Routledge. vol. 4, no. 1 (2003).
- Jacob, Wilson Chacko. *Working Out Egypt: Effendi Masculinity and Subject Formation in Colonial Modernity, 1870-1940*. Durham, NC: Duke University Press, 2011.
- Kamrava, Mehran et al. "Ruling Families and Business Elites in the Gulf Monarchies: Ever Closer?" Research Paper. Middle East and North Africa Programme. Chatham House. London. November 2016. at: <https://bit.ly/2BbAUyx>
- Kaufman, Haim Yair Galily. "Sport, Zionist Ideology and the State of Israel." *Sport in Society*. vol. 12, no. 8 (2009).
- Khaled, Ali. "The Birth of UAE Football: Class of '72 Acted as a Springboard to Bigger Things." *The National*. 7/9/2015. at: <https://bit.ly/3OMTwmj>
- Khalidi, Issam. "Sports and Aspirations: Football in Palestine, 1900–1948." *Jerusalem Quarterly*. vol. 58, no. 75 (2014).

- Sorek, Tamir. *Arab Soccer in a Jewish State: The Integrative Enclave*. Cambridge: Cambridge University Press, 2007.
- Stevenson, Thomas B. Abdul Karim Alaug. "Football in Newly United Yemen: Rituals of Equity, Identity, And State Formation." *Journal of Anthropological Research*. vol. 56, no. 4 (2000).
- \_\_\_\_\_. "Sports Diplomacy and Emergent Nationalism: Football Links between the Two Yemens, 1970-1990." *Anthropology of the Middle East*. vol. 3, no. 2 (2008).
- Stoddart, Brian. "Sport, Cultural Imperialism, and Colonial Response in the British Empire." *Comparative Studies in Society and History*. Cambridge University Press. vol. 30, no. 4 (1988).
- Waele, Jean-Michel De et al. (eds.). *The Palgrave International Handbook of Football and Politics*. London: Palgrave Macmillan, 2018.